عمر بن عبد العزيز

صور وأقوال

د . صلاح الدين الكدلي

الطبعة الشبكية الأولى – الدار الإسلامية للإعلام – ألمانيا

ربيع الآخر 1431 هـ ، آذار / مارس 2010م

© *Islamischer Info. Dienst Verlag*

العنوان

I.I.D e.V.
P.O.Box: 100810
D-52008 Aachen
Germany

Tel: + 49 241-538373
Fax: + 49 241-538887
Email: iid@iid-alraid.com
Website: www.iid-alraid.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين .. والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين

معشر القراء

هذا الكتيب لا يتحدث عن تاريخ الإمام العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، ولا يتناول إنجازاته العظيمة التي أنطقت ألسنة الخاصة والعامة بالثناء عليه ، حتى قالوا : هو خامس الخلفاء الراشدين ، فقد كان رحمه الله تعالى ربانيّاً ؛ أحيا سُنناً ، وأمات بدعاً ، ونشر العدل ، وذكَّر الناس بأيام الله عزَّ وجلَّ ، فكانت خلافته خيراً وبركة عمّت الأرجاء .

وإنما يكتفي هذا الكتيب بنقل طائفةٍ من القصص المعبرة عن ربّانيّة ابن عبد العزيز ، وباقةٍ من الأقوال الدالة على علوّ كعبه في معرفة النفس البشرية ، وبخاصة : مداخل الشبهات إلى القلوب ، ومسارب الشهوات إلى النفوس .

وهذه الصور الجميلة والكلمات الرائعة .. كنت قد اخترتها لنفسي من كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير ، ووضعت عنواناً لكل قصة أو قول ؛ يشير إلى المضمون ، ويسهل الاستفادة مما استحسنت . ثم رأيت أن حجمها الصغير ييسر الاطلاع على جوانب من الخير والاستقامة عند هذا المربي الجليل ، ونحن في أمس الحاجة إلى المعاني التربوية المتجسّدة في سلوك ومواقف ، فدفعني هذا إلى تهيئة ما أخترته للنشر ، واستحسنت عنواناً يدلّ على هذه الرسالة والمقصود منها ، وهو :

عمر بن عبد العزيز : صور وأقوال

أسأل الله تعالى أن يكتب لهذا الجهد القبول ، والحمد لله ربّ العالمين

د. صلاح الدين النكدلي

المحتويات

أو غير ذلك يا أبتاه 7
اعجبْ ممن عرف الله فعصاه! 7
والله ما كذبت 8
لست بمبتدع ولكني متبع 8
أول خطبة لعمر بن عبد العزيز 8
إنَّ لي نفساً توَّاقة 9
ويحك ومالي لا أغتمّ .. ؟ 9
قد جاء شغل شاغل 9
فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقنا 10
ثلاثة يوصون عمرا 10
إنك لا تجد على الخير أعوانا 11
رحمتُ نفسي فبكيت 11
لا تطعني في معصية 12
اذكر قدرة الله عليك! 12
بُعث محمد داعياً لا جابيا 12
كن عبداً لله ناصحا 12
هو والله أعلمكم! 13
من حِكَمِ عمر في خُطبه 13
ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ؟ 14
من استكملها استكمل الإيمان 15
ما أكثر الواعظين وأقلَّ العاملين! 15

كلامك من عملك .. فاعمل بعلم 15
لا حاجة لنا في مقاولتك 16
إنه يتيم وقد أفزعتموه 16
فأما نحن فهي لنا رشوة! 17
اللهـــم .. وفقني 17
عمر يرشد ويُعرض 17
قمتُ وأنا عمر .. وجلستُ وأنا عمر 18
من كان باكياً فلْيبك على نفسه 18
كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذة 19
لو رأيتَ الميت بعد ثلاث! 19
وقف عند آية و لم يتجاوزها 20
يا ليت بيننا وبين الخلافة بُعد المشرقين 20
إنْ لا يَسِرْ طائعاً في قصدها يُسَق 20
يا نفسُ! تجهزي .. لم تخلقي عبثا 21
إنَّما هو نواحة ينوح بها على نفسه 21
الدنيا متاعٌ زائل 22
نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلة! 23
أيقظانُ أنت اليوم ؟! 23
الصلاة .. الصلاة 23
ليس من جُرِّبَ كمن لم يُجَرَّب 24
دعوة عمرية 24
حِكَمٌ عُمَريةٌ رائعةٌ 24
خير الأبناء من أعان أباه 25

وما عالمٌ شيئاً كمن هو جاهلُهْ 26
فكم من صحيح بات للموت آمناً ؟! 26
لو اتعظ الملوك بمن مضى 27
الفِعال أولى بالمؤمن من المقال 27
أما كانوا يمشون على القبور ؟! 28
أوصيك بترك ما أحدث الـــمُحْدِثون 28
من استبصر بالوحي أبصر 29
الأحمق والكافر 29
الحاكم وخصماؤه 30
خليفة يوصي خليفة 30
فإن كان لا بدَّ فأذن لجرير 30
إنك تُسأل عن هذا يوم القيامة 34
محارب يرثي عمرا 36

أو غير ذلك يا أبتاه

قال الزبير بن بكار : حدثني العتبي قال :

« إنَّ أول ما استُبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصُه على العلم ورغبتُه في الأدب ، أن أباه وليَ مصر وهو حديث السنّ يُشَك في بلوغه ، فأراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام ، فقال : يا أبت أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي ولك ، قال : وما هو ؟ قال : ترحِّلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهائها وأتأدب بآدابهم . فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة ، وأرسل معه الخدام ، فقعد مع مشايخ قريش ، وتجنب شبابهم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره ، فلما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده ، وقدمه على كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة ، وهي التي يقول الشاعر فيها :

بنتُ الخليفةِ والخليفةُ جدُّها أختُ الخلائفِ والخليفةُ زوجُها »

اعجبْ ممن عرف الله فعصاه!

قال عثمان بن زبر : أقبل سليمان بن عبد الملك ، وهو أمير المؤمنين ، ومعه عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان ، وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأثقال والرجال ، فقال سليمان : ما تقول يا عمر في هذا ؟ فقال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً وأنت المسؤول عن ذلك كله . فلما اقتربوا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة في فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها ، ونعب نعبةً ، فقال له سليمان : ما هذا يا عمر ؟! . فقال : لا أدري . فقال : ما ظنك أنه يقول ؟ قال : كأنه يقول : من أين جاءتْ وأين يُذهب بها ؟ فقال له سليمان : ما أعجبك ؟! فقال عمر : اعجبْ ممن عرف الله فعصاه ، ومن عرف الشيطان فأطاعه ، ومن عرف الدنيا فركن إليها! .

والله ما كذبت

ذكر الإمام مالك أن سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز تقاولا مرة ، فقال له سليمان في جملة الكلام : كذبتَ . فقال : تقول كذبت ؟! والله ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر أهله ، ثم هجره عمر وعزم على الرحيل إلى مصر ، فلم يُمكِّنه سليمان ، ثم بعث إليه فصالحه ، وقال له : ما عرض لي أمر يهمني إلا خطرتَ على بالي .

لست بمبتدع ولكني متبع

لما مات سليمان بن عبد الملك ، وبايع من كان حاضراً عمرَ بن عبد العزيز قام فخطب خطبة بليغة ، فكان مما قال في خطبته :

« أيها الناس ، إني لست بمبتدع ولكني متبع ، وإنّ مَنْ حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم ، وإنْ هم أبوا فلست لكم بوال » .

أول خطبة لعمر بن عبد العزيز

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة دخل المسجد ، فصعد المنبر واجتمع الناس إليه ، فقال :

« أيها الناس ، إنّي قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأيٍ كان مني فيه ، ولا طُلبةٍ له ، ولا مشورةٍ من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي ، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون » .

فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا ، ورضينا كلنا بك .

فلما هدأت أصواتهم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خَلَفٌ من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فإنه هادم اللذات ، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله ، وإن هذه الأمة لم تختلف

في ربها ، ولا في كتابها ، ولا في نبيها ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإني والله لا أعطي أحـــداً باطلاً ، ولا أمنع أحداً حقا » .

ثم رفع صوته فقال :

« أيها الناس ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له . أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم » .

إنَّ لي نفساً توَّاقة

يقال إنّ عمر بن عبد العزيز خطب الناس فقال في خطبته :

« أيها الناس ، إنّ لي نفساً تواقة لا تُعطى شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعلى منه ، وإني لما أُعطيت الخلافة تاقت إلى ما هو أعلى منها ، وهي الجنة ، فأعينوني عليها يرحمكم الله » .

ويحك ومالي لا أغتمّ .. ؟

لما رجع عمر بن عبد العزيز من جنازة سليمان ، وقد بايعه الناس واستقرت الخلافة باسمه ، انقلب وهو مغتمٌ مهمومٌ ، فقال له مولاه : مالكَ هكذا مغتمّاً مهموماً وليس هذا بوقت هذا ؟ ، فقال : « ويحك ومالي لا أغتمّ وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه أن أؤديه إليه ، كتبَ إليَّ في ذلك أو لم يكتب ، طلبه مني أو لم يطلب » .

قد جاء شغل شاغل

قال رجل لعمر بن عبد العزيز : تفرّغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشأ يقول :

قد جاء شـــغلٌ شـــاغلٌ وعدلتُ عن طُرق السلامهْ
ذهب الفـــراغُ فلا فـــرا....غَ لنا إلى يـــوم القيـــامـــه

فَلْيَصْحَبْنا بخمسٍ وإلاّ فَلْيُفارِقْنا

عن سلام بن سليم : لما وليَ عمر بن عبد العزيز صعد المنبر ، وكان أول خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلاّ فليفارقنا :

- يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ،
- ويعيننا على الخير بجهده ،
- ويدلُّنا من الخير على ما لا نهتدي إليه ،
- ولا يغتابنَّ عندنا أحداً ،
- ولا يعرضن فيما لا يعنيه »

فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت معه الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعلُه قولَه .

ثلاثة يوصون عمرا

قال سفيان بن عيينة : لما وليَ عمر بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ، ورجاء بن حيوة ، وسالم بن عبد الله ، فقال لهم : قد ترون ما ابتليت به وما قد نزل بي ، فما عندكم ؟

- فقال محمد بن كعب : اجعلِ الشيخَ أباً ، والشابَ أخاً ، والصغيرَ ولداً ، وبرَّ أباك وصلْ أخاك ، وتعطَّف على ولدك .
- وقال رجاء : ارضَ للناس ما ترضى لنفسك ، وما كرهتَ أن يُؤتى إليك فلا تأته إليهم .

- وقال سالم : اجعل الأمر واحداً ، وصُمْ فيه عن شهوات الدنيا ، واجعل آخر فطرك فيه الموت . فكأنْ قد .

فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله .

إنك لا تجد على الخير أعوانا

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر :

« اكتب لي سيرة عمر حتى أعمل بها . فقال له سالم : إنك لا تستطيع ذلك . قال : ولم ؟! . قال : إنك إن عملت بها كنت أفضل من عمر ، لأنه كان يجد على الخير أعواناً ، وأنت لا تجد من يعينك على الخير » .

رحمتُ نفسي فبكيت

قالت زوجة عمر فاطمة :

دخلت يوماً على عمر وهو جالس في مصلاه واضعاً خدّه على يده ودموعه تسيل على خديه ، فقلت : ما لك ؟!

فقال : « ويحك يا فاطمة ، قد وُلِّيتُ من أمر هذه الأمة ما وُلِّيتُ ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعاري المجهود ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة ، والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ، والشيخ الكبير ، وذي العيال الكثير والمال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمتُ أن ربي عزَّ وجلَّ سيسألني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ ، فخشيت أن لا يثبت لي حُجة عند خصومته ، فرحمت نفسي فبكيت » .

لا تطعني في معصية

قال ميمون بن مهران : ولاَّني عمر بن عبد العزيز عمالةً ، ثم قال لي : « إذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض » .

اذكر قدرة الله عليك!

كتب عمر إلى بعض عماله : « إذا دعتك قدرتك على الناس إلى مظلمة ؛ فاذكر قدرةَ الله عليك ، ونفادَ ما تأتي إليهم ، وبقاءَ ما يأتون إليك » .

بُعث محمد داعياً لا جابيا

عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحكمي عن إمرة خراسان .. وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية ممن أسلم من الكفار ، ويقول : أنتم إنما تسلمون فراراً منها . فامتنعوا من الإسلام وثبتوا على دينهم وأدوا الجزية ، فكتب إليه عمر : إن الله إنما بعث محمداً ﷺ داعياً ، و لم يبعثه جابيا » .

كن عبداً لله ناصحا

قال ابن كثير : كتب عمر إلى عماله يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشرّ ، ويبيّن لهم الحق ويوضحه لهم ، ويعظهم فيما بينه وبينهم ، ويخوِّفهم بأمر الله وانتقامه ، وكان فيما كتبه إلى عبد الرحمن بن نعيم القشيري :

« أما بعد ؛ فكن عبداً لله ، ناصحاً لله في عباده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ؛ فإن الله أولى بك من الناس ، وحقه عليك أعظم ، ولا تُوليِّن شيئاً من أمور المسلمين إلا المعروفَ بالنصيحة لهم ، والتوفير عليهم ، وأدَّى الأمانة فيما استرعى ، وإياك أن يكون ميلك إلى غير الحق ، فإن الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهبنَّ عن الله مذهباً ، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه » .

هو والله أعلمكم!

قال ابن وهب : حدثني الليث عن أبي النضر المديني ، قال : « رأيت سليمان بن يسار خارجاً من عند عمر بن عبد العزيز ، فقلت له : من عند عمر خرجت ؟ ، قال : نعم ، قلت : تعلّمونه ؟ قال : نعم ، فقلت : هو والله أعلمكم » .

وقال مجاهد : أتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه . وقال ميمون بن مهران : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة .

من حِكَمِ عمر في خُطبه

- خطب عمر بن عبد العزيز في الناس يوماً فقال – وقد خنقته العَبْرة – :

« أيها الناس ، أصلحوا آخرتكم يصلحِ اللهُ دنياكم ، وأصلحوا أسراركم يصلحِ اللهُ علانيتكم » .

- وقال في بعض خطبه :

« كم من عامرٍ موثق عما قليل يخرب ، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، بينما ابن آدم في الدنيا ينافس قرير العين فيها

يانع ، إذْ دعاه الله بقدره ، ورماه بسهم حتفه ، فسلبه أثارةَ دنياه ، وصيَّر إلى قوم آخرين مصانعه ومغناه ، إنَّ الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، تسر قليلاً وتُحزن طويلا » .

▪ ولما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، إنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد عليه السلام ، وإني لست بقاضٍ ولكني منفّذ ، وإني لست بمبتدع ولكني متبع ، إنَّ الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم إلا أن الإمام الظالم هو العاصي ، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عزَّ وجلَّ » .

وفي رواية أنه قال فيها :

« وإني لست بخير من أحد منكم ، ولكني أثقلكم حملا » .

ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ؟

كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإنكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولم تُتركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينـــزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى ، وحُرِمَ جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا انه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم الآخر وخافه ، وباع فانياً بباقٍ ، ونافداً بما لا نفاد له ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيكون من بعدِكم للباقين ، كذلك حتى تُرد إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله لا يرجع ، قد قضى نحبه ، حتى تغيِّبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غير موسد ولا ممهد ، قد فارق الأحباب ، وواجه التراب والحساب ، فهو مرتهن بعمله ، غنيٌّ عما ترك ، فقير لما قدَّم ، فاتقوا الله قبل القضاء ، وراقبوه قبل نزول الموت بكم . أما إني أقول هذا » ثم وضع طرف رداءه على وجهه فبكى وأبكى من حوله .

وفي رواية : « وأيم الله إني لا أقول قولي هذا ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ، ولكنها سننٌ من الله عادلة ؛ أمر فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، وأستغفر الله » ووضع كُمَّه على وجهه ، فبكى حتى بلَّ لحيته ، فما عاد لمجلسه حتى مات رحمه الله .

من استكملها استكمل الإيمان

عن عيسى بن عاصم قال :

« كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة : إن للإسلام سنناً وفرائض وشرائع ؛ فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فإنْ أعش أبينها لكم لتعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص » .

ما أكثر الواعظين وأقلَّ العاملين!

ذكر الصولي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض عُمّاله :

« عليك بتقوى الله ؛ فإنها هي التي لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، وإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل » .

كلامك من عملك .. فاعمل بعلم

قال عمر بن عبد العزيز :

« من علم أن كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه وينفعه ، ومن أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير » .

وقال أيضاً : « من لم يعدّ كلامه من عمله كثرت خطاياه ، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه » .

لا حاجة لنا في مقاولتك

كلّم رجل يوماً عمر بن عبد العزيز حتى أغضبه ، فهمَّ به عمر ثم أمسك نفسه ، ثم قال للرجل :

« أردت أن يستفزّني الشيطان بعزة السلطان فأنال منك ما تناله مني غداً ؟ قم عافاك الله لا حاجة لنا في مقاولتك » .

وكان يقول : « إن أحب الأمور إلى الله القصد في الجدّ ، والعفو في المقدرة ، والرفق في الولاية ، وما رفق عبد بعبد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة » .

إنه يتيم وقد أفزعتموه

خرج ابنٌ لعمر بن عبد العزيز وهو صغير يلعب مع الغلمان ، فشجَّه صبي منهم ، فاحتملوا الصبيَّ الذي شجَّ ابنه وجاؤوا به إلى عمر ، فسمع الجلبة فخرج إليهم ، فإذا مُرَيْئَةٌ تقول : إنه ابني وإنه يتيم ، فقال لها عمر : هوِّني عليك . ثم قال لها عمر : أله عطاء في الديوان ؟ قالت : لا ، قال : فاكتبوه في الذرية .

فقالت زوجته فاطمة : أتفعل هذا به وقد شجّ ابنك ؟! ، فعل الله به وفعل ، المرة الأخرى يشجّ ابنك ثانية ، فقال : ويحك ، إنه يتيم وقد أفزعتموه .

فأما نحن فهي لنا رشوة !

أهدى لعمر بن عبد العزيز رجل من أهل بيته تفاحاً ، فاشتمّه ثم رده مع الرسول ، وقال له : قل له قد بلغت محلها ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية ، وهذا رجل من أهل بيتك . فقال : إن الهدية كانت لرسول الله ﷺ هدية ، فأما نحن فهي لنا رشوة .

اللهـــم .. وفقني

من أدعية عمر بن عبد العزيز قوله :

« اللهم إن رجالاً أطاعوك فيما أمرتهم وانتهوا عما نهيتهم ، اللهم وإن توفيقك إياهم كان قبل طاعتهم إياك ، فوفقني .

اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك ، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر » .

عمرٌ يرشد ويُعرض

▪ قال رجل لعمر بن عبد العزيز : أبقاك الله ما كان البقاء خيراً لك . فقال : هذا شيء قد فُرِغَ منه ، ولكن قل : أحياك الله حياة طيبة وتوفاك مع الأبرار .

▪ وقال له رجل : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ . فقال : أصبحت بطيئاً بطيناً ، متلوثاً بالخطايا ، أتمنى على الله عزَّ وجلَّ! .

▪ ودخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زين ، وأنت زين الخلافة ، وإنما مثلك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

وإذا الدُرُّ زانَ حُسنَ وجوهٍ كان للدر حُسنُ وجهك زينا

قال : فأعرض عنه عمر .

قمتُ وأنا عمر .. وجلستُ وأنا عمر

قال رجاء بن حيوة : سمرت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة ، فعشى السراج ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ألا أنبه هذا الغلام يصلحه ؟ فقال : لا ، دعه ينام ، لا أحب أن أجمع عليه عملين . فقلت: أفلا أقوم أصلحه ؟ فقال : لا ، ليس من المروءة استخدام الضيف .

ثم قام بنفسه فأصلحه وصبّ فيه زيتاً ، ثم جاء وقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز .

من كان باكياً فلْيبك على نفسه

بلغ عمرَ بن عبد العزيز أن رجلاً من أصحابه توفي ، فجاء إلى أهله ليعزِّيهم فيه ، فصرخوا في وجهه بالبكاء عليه ، فقال : مه ، إن صاحبكم لم يكن يرزقكم ، وإن الذي يرزقكم حيّ لا يموت ، وإن صاحبكم هذا لم يسدّ شيئاً من حُفركم ، وإنما سدّ حفرة نفسه ، ألا وإن لكل امرئٍ منكم حفرة لا بدّ والله أن يسدها .

إن الله عزَّ وجلَّ لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دارٌ خُبْرَةً[1] إلا امتلأت عِبْرَةً ، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن

(1) الخُبْرَة : من معانيها : ما قدِّم من شيء ، وما يشتريه الرجل لأهله من طعام ، والثريدةُ الضخمة الدسمة . ولعل المراد : كثرة المال المفضي إلى الغفلة عن الآخرة .

عليها ؛ فمن كان منكم باكياً فليبك على نفسه ، فإن الذي صار إليه صاحبكم كل الناس يصيرون إليه غدا .

كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذة

قال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبور ، فقال لي :

« يا أبا أيوب! هذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد خلت بهم الـــمَثُلات[2] ، واستحكم فيهم البلاء ؟ . ثم بكى حتى غشيَ عليه ، ثم أفاق فقال : انطلقوا بنا فوالله لا أعلم أحداً أنعمَ ممّنْ صار إلى هذه القبور ، وقد أَمِنَ من عذاب الله ، ينتظر ثواب الله » .

لو رأيتَ الميت بعد ثلاث!

قال عمر بن عبد العزيز مرة لرجل من جلسائه :

« لقد أرقتُ الليلة مفكراً . قال : وفيم يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث في قبره ، وما صار إليه ، لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بناحيته ، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام وتخترق فيه الدّيدان ، ويجري فيه الصديد ، مع تغُّير الريح ، وبلى الأكفان ، بعد حسن الهيئة وطيب الريح ، ونقاء الثوب »

ثم شهق شهقة وخرَّ مغشياً عليه .

(2) المُثلات : ما أصاب القرون الماضية من الفناء والعذاب ، وهي عِبَرٌ لـــمُعتبر .

وقف عند آية ولم يتجاوزها

قال مقاتل بن حيان : صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقرأ : ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** ﴾ [الصافات : 24] . فجعل يكررها وما يستطيع أن يتجاوزها .

يا ليت بيننا وبين الخلافة بُعد المشرقين !

قالت فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز :

« ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه ، ولا أحداً أشدّ فَرَقاً من ربه منه ؛ كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه .

قالت : « ولقد يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء ، ويجلس يبكي ، فأطرح عليه اللحاف رحمة له ، وأنا أقول : يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوا لله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها » .

إنْ لا يَسِرْ طائعاً في قصدها يُسَقِ

قال أبو بكر الصولي : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر :

فما تزوّدَ مما كان يجمعــه سوى حنوطٍ غداةَ البينِ في خِرَقِ
وغيرَ نفحةِ أعوادٍ تشبُّ له وقــلَّ ذلــك من زادٍ لمنطلــقِ
بأيمــا بلــدٍ كانت منيتــه إن لا يَسِرْ طائعاً في قصدها يُسَقِ

يا نفسُ! تجهزي .. لم تخلقي عبثا

نظر عمر بن عبد العزيز ، وهو في جنازة ، إلى قوم قد تلثموا من الغبار والشمس ، وانحازوا إلى الظلِّ ، فبكى وأنشد :

من كان حين تصيب الشمسُ جبهتَهُ ... أو الغبارُ يخاف الشَّـــيْنَ والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشـــاشـــتُهُ ... فكيف يسكن يوماً راغماً جَدثا
في قعر مظلمـــةٍ غبـــراءَ موحشـــةٍ ... يطيل في قعرها تحت الثرى اللبثا
تجهـــزي بجهـــاز تبلغيـــن بـــــهِ ... يا نفسُ قبل الردى لم تخلقي عبثا

إنَّما هو نواحة ينوح بها على نفسه

ذكر الآجري في « أدب النفوس » بسنده إلى عمر بن الخطاب الأزدي قال : حدثني ابنٌ لعبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة قال : أراد عمر بن عبد العزيز أن يبعث عبد الأعلى رسولاً إلى إليون طاغية الروم يدعوه إلى الإسلام ، فقال له عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين ائذن لي في بعض بَنِيَ يخرج معي .

فقال له : انظر من يخرج معك من ولدك .

فقال : عبد الله .

فقال له عمر : إني رأيت ابنك عبدَ الله يمشي مشيةً كرهتها منه ومقتُّه عليها ، وبلغني أنه يقول الشعر .

فقال عبد الأعلى : أما مشيته تلك فغريزة فيه ، وأما الشعر فإنما هو نواحة ينوح بها على نفسه .

فقال له : مُرْ عبد الله يأتيني ، وخذ معك غيره .

فراح عبد الأعلى بابنه عبد الله إليه ، فاستنشده عمر فأنشده :

تجهــزي بجهــاز تبلغيــن بــه ... يا نفسُ قبل الردى لم تُخلقي عبثا
ولا تكــدّي لمن يبقى وتفتقري ... إن الردى وارث الباقي وما وَرِثا
واخشي حوادث صرفِ الدهر في مهلٍ ... واستيقظي لا تكوني كالذي بحثــا
عن مُدْيَــةٍ كان فيها قطــع مدّتِــه ... فوافتِ الحرث موفوراً كما حُرِثا
لا تأمني فجعَ دهــرٍ متــرفٍ خَتِــلٍ ... قد استوى عنده من طاب أو خَبُثا
يا رُبَّ ذي أمــلٍ فيه على وجــلٍ ... أضحى به آمناً أمسى وقد حدثا
من كان حين تصيب الشمسُ جبهتَهُ ... أو الغبارُ يخاف الشَّــيْنَ والشعثا
ويألف الظــل كي تبقى بشــاشــتُهُ ... فكيف يسكن يوماً راغماً جَدثــا
قفــراءَ موحشــةٍ غبراءَ مظلمــــةٍ ... يطيل تحت الثرى من قعرها اللبثا

وكان عمر يتمثل بها كثيراً ويبكي .

الدنيا ظلٌ زائل

قال الفضل بن عباس الحلبي : كان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه من هذا البيت :

ولا خيرَ في عيش امرئٍ لم يكنْ له ... منَ الله في دار القرار نصيبُ

وزاد غيره معه بيتاً حسناً وهو قوله :

فإن تُعجب الدنيا أُناســاً فإنهــا ... متاع قليل والزوال قريــب

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلة!

قال عبد الله بن المبارك : كان عمر بن عبد العزيز يقول :

تُســـر بما يفنى وتفرح بالمنـــى كما اغتر باللذات في النوم حالمُ
نهارُك يا مغرورُ ســـهوٌ وغفـــلةٌ وليلك نومٌ والردى لك لازمُ
وســـعيُك فيما سوف تكره غِبَّهُ كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

أيقظانُ أنت اليوم ؟!

وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يلوم نفسه :

أَيقظانُ أنتَ اليوم أم أنت نائـــمُ وكيف يطيق النوم حيران هائمُ
فلو كنتَ يقظان الغداةِ لحرَّقـــتْ محاجرَ عينيك الدموعُ السواجمُ
أصبحتَ في النوم الطويل وقد دنت إليك أمورٌ مُفْظِعـــاتٌ عظائـــمُ
وتكدح فيما سوف تكره غبّـــهُ كذلك في الدنيا تعيش البهائـــمُ
فلا أنت في النُّـــوام يوماً بســـالمٍ ولا أنت في الأيقاظ يقظانُ حازمُ

الصلاة .. الصلاة

كان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى عماله : اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلاة ، فإن من أضاعها فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشدُّ تضييعا .

ليس من جُرِّبَ كمن لم يُجَرَّب

قال أبو سعيد الداراني :

كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني ، لأن عمر مَلَكَ الدنيا بحذافيرها وزهد فيها ، ولا ندري حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون ؟ ، ليس من جُرِّبَ كمن لم يُجرَّب .

دعوة عمرية

كان عمر بن عبد العزيز يقول : اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاحٌ لأمة محمد ﷺ ، وأهلك من كان في هلاكه صلاحُ أمة محمد ﷺ .

حِكَمٌ عُمَرِيةٌ رائعةٌ

- قال عمر بن عبد العزيز :

« أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم » .

- وقال أيضاً :

« لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يُحْكِمَ أمر نفسه لتواكل الناس الخيرَ ، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقلَّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة » .

- وقال :

« الدنيا عدوة أولياء الله ، وولية أعداء الله ، أما الأولياء فَغمَّتهم وأحزنتهم ، وأما الأعداء فغرَّتهم ، وشتَّتْتهم ، وأبعدتهم عن الله » .

- وقال :

« قد أفلح من عُصِمَ من المراء ، والغضب ، والطمع » .

▪ وقال أيضاً :

« لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها سؤال ربه ، أُعطيَ أو مُنِع » .

▪ وقال :

« قيِّدوا العلم بالكتاب » .

▪ وقال لرجل :

« علِّم ولدك الفقه الأكبر : القناعة وكف الأذى » .

▪ وتكلم رجل عنده فأحسن ، فقال :

« هذا هو السحر الحلال » .

خير الأبناء من أعان أباه

لما فرغ عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان بن عبد الملك وبيعة الناس ، ذهب يتبوأ مقيلاً ، فأتاه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين : ماذا تريد أن تصنع ؟! . قال : يا بني أقيل . قال : تقيل ولا ترد المظالم لأهلها ؟! . فقال : إني سهرت البارحة في أمر سليمان ، فإذا صليت الظهر رددت المظالم . فقال له ابنه : ومن لك أن تعيش إلى الظهر ؟! . قال : ادنُ مني أي بُني ، فدنا منه فقبَّل بين عينيه وقال : الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني . ثم قام وخرج وترك القائلة ، وأمر مناديه فنادى : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها .

وما عالمٌ شيئاً كمن هو جاهلُهْ

كان عمر بن عبد العزيز يتمثل كثيراً بهذه الأبيات :

يُرى مستكيناً وهو للقول ماقتُ ... به عن حديث القوم ما هو شاغلُهْ
وأزعجــه علمٌ عن الجهل كلــه ... وما عالم شيئاً كمن هو جاهلــهْ
عبوسٌ عن الجهال حين يراهــمُ ... فليس له منهم خديــنٌ يهازلــهْ
تذكَّر ما يبقى من العيش فارعوى ... فأشــغله عن عاجل العيش آجله

فكم من صحيح بات للموت آمناً ؟!

روى ابن أبي الدنيا عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده سابقٌ البربري وهو ينشده شعراً ، فانتهى في شعره إلى هذه الأبيات :

فكم من صحيح بات للموت آمناً ... أتته المنايــا بغتةً بعد ما هجــعْ
فلم يســتطع إذ جاءه الموتُ بغتةً ... فراراً ، ولا منه بقوِّتــه امتنــعْ
فأصبح تبكيــه النســاءُ مُقَنَّعــاً ... ولا يسمع الداعي وإنْ صوتَه رفعْ
وقُرِّب من لحــدٍ فصار مقيلَــهُ ... وفارق ما قد كان بالأمس قد جمعْ
فلا يترك المــوتُ الغنــيَ لمالــهِ ... ولا معدماً في المال ذا حاجةٍ يدعْ

لو اتعظ الملوك بمن مضى

قال شعيب بن صفوان : كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما وليَ الخلافة :

« أما بعد يا عمر ، فإنه قد ولي الخلافة قبلك أقوام ، فماتوا على ما قد رأيت ، ولقوا الله فرادى بعد الجموع والحفدة والحشم ، وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون ، فانفقأت عينهم التي كانت لا تفتأ تنظر لذاتها ، واندفنت رقابهم غير موسدين بعد لينِ الوسائد ، وتظاهرِ الفرش والمرافق والسرر والخدم ، وانشقت بطونهم التي كانت لا تشبع من كل نوع ولون من الأموال والأطعمة ، وصاروا جيفاً بعد طيب الروائح العطرة ، حتى لو كانوا إلى جانب مسكين ممن كانوا يحقرونه وهم أحياء لتأذّى بهم ، ولنفر منهم ، بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من الطيب والثياب الفاخرة اللينة ، كانوا ينفقون الأموال إسرافاً في أغراضهم وأهوائهم ، ويقترون في حق الله وأمره .

فإن استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون ، مرتهنون بما عليهم ، وأنت غير محبوس ، ولا مرتهن بشيء ، فافعل ، واستعن بالله ، ولا قوة إلا بالله سبحانه .

وما ملكٌ عما قليـــل بســـالمٍ ولو كثرت أحراسُه ومواكبُهْ
ومن كان ذا باب شديد وحاجبٍ فعمَّا قليل يهجر البابَ حاجبُهْ
وما كان غير الموت حتى تفرَّقت إلى غيره أعوانُـــه وحبائبُـــهْ
فأصبح مسروراً به كل حاسدٍ وأســـلمه أصحابـــُه وأقاربُـــهْ

الفِعال أولى بالمؤمن من المقال

قال ميمون بن مهران : تكلم عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رهط من إخوانه ، فَفُتح له منطق وموعظة حسنة ، فنظر إلى رجل من جلسائه وقد ذرفت عيناه بالدموع ، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقه .

فقلت له : يا أمير المؤمنين امضِ في موعظتك فإني أرجو أن يمن الله به على من سمعه أو بلَغَه .

فقال : إليك عني يا أبا أيوب ، فإن في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلم عليهم ، والفعال أولى بالمؤمن من المقال .

أما كانوا يمشون على القبور ؟!

روى ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز قال :

« استعملنا أقواماً كنا نرى أنهم أبرار أخيار ، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمال الفجار ، قاتلهم الله ، أما كانوا يمشون على القبور ؟!! » .

أوصيك بترك ما أحدث الـــمُحْدِثون

روى الطبراني والدارقطني وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له :

« أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المحدثون بعده ، ممن حارب سنته ، وكفوا مؤنته .

ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها – أو قال : دليل عليها – فعليك لزوم السنة ، فإنه إنما سنّها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل ، والحمق والخطأ والتعمق ، ولَهُمُ [3] كانوا على كشف الأمور أقوى ، وعلى العمل الشديد أشدّ ، وإنما كان عملهم على الأَسَدّ ، ولو كان فيما تُحَمِّلوُن أنفسكم فضلٌ لكانوا فيه أحرى ، وإليه أجرى ، لأنهم السابقون إلى كل خير .

(3) يريد : الصحابة .

فإن قلتَ : قد حدث بعدهم خير . فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وحاد عن طريقهم ، ورغبت نفسه عنهم ، ولقد تكلموا منه ما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فأين لا أين ، فَمَنْ دونهم مقصِّر ، ومَنْ فوقهم غير محسن ، وقد قصر أقوام دينهم فحفوا ، وطمح عنهم آخرون فغفلوا » .

ثم عقَّب ابن كثير فقال :

« فرحم الله ابن عبد العزيز ، ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة ومحبة ما كان عليه الصحابة ، فمن الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟! » .

من استبصر بالوحي أبصر

روى الخطيب البغدادي بسنده إلى عمر بن عبد العزيز أنه قال :

« سنَّ رسول الله ﷺ وخلفاؤه بعدهُ سنناً ، الأخذُ بها تصديق لكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، ليس على أحد تغييرها ، ولا تبديلها ، ولا النظر في رأي من خالفها ، فمن اقتدى بما سبق هُدي ، ومن استبصر بها أبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا » .

الأحمق والكافر

أمر عمر بن عبد العزيز مناديه ذات يوم فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فخطبهم فقال في خطبته :

« إني لم أجمعكم إلاّ أنّ المصدق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدار الآخرة و لم يعمل لذلك ويستعد له أحمق ، والمكذب له كافر . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ** ... ﴾ [فصلت : 54] » وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ** ﴾ [يوسف : 106].

الحاكم وخصماؤه

قال زياد العبدي لعمر بن عبد العزيز :

« يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصمٌ أَلَدُّ ، ما حالُه ؟ ، قال : سيء الحال ، قال : فإن كانا خصمين أَلَدَّيْن ؟ ، قال : فهو أسوأ حالاً ، قال : فإن كانوا ثلاثة ؟ قال : ذاك حيث لا يهنئُه عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد ﷺ إلا وهو خصمك » .

قال : فبكى عمر حتى تمنيت أني لم أكن حدثته ذلك .

خليفة يوصي خليفة

كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك :

« أما بعد ، فإني لا أراني إلا ملمّاً بي ، وما أرى الأمر إلا سيفضي إليك ، فالله الله في أمة محمد ﷺ فإنك عمّا قليل ميت فتدع الدنيا إلى من لا يعذرك » .

فإن كان لا بدَّ فأذن لجرير

قال الهيثم بن عدي بن عوانة بن الحكم :

« لما استُخلف عمر بن عبد العزيز ، وفد إليه الشعراء فمكثوا ببابه أياماً لا يؤذن لهم ولا يلتفت إليهم ، فساءهم ذلك وهمُّوا بالرجوع إلى بلادهم ، فمرَّ بهم رجاء بن حيوة ، فقال له جرير :

يا أيها الرجل المرخي عمامتـــه هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل و لم يذكر لعمر من أمرهم شيئاً ، فمرَّ بهم عديُ بن أرطأة ، فقال له جرير منشدا :

يا أيها الراكب المرخي مطيتــه هذا زمانك إني قد مضى زمنــي
أبلغ خليفتنــا إن كنت لاقيــه أني لدى الباب كالمصفود في قَــرنِ
لا تنسَ حاجتنا ، لاقيتَ مغفرةً قد طال مكثيَ عن أهلي وعن وطني

فدخل عدي على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ، الشعراء ببابك ، وسهامهم مسمومة ، وأقوالهم نافذة ، فقال : ويحك يا عدي ، مالي وللشعراء ؟! ، فقال : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قد كان يسمع الشعر ، ويجزي عليه ، وقد أنشده العباس بن مرادس مدحة فأعطاه حلة ، فقال له عمر : أتروي منها شيئا ؟ ، قال نعم : فأنشده :

رأيتك يا خيــر البريــة كلهــا نشرت كتابا جاء بالحق مُعْلِمــا
شرعتَ لنا دين الهدى بعد جوْرنا عن الحق لما أصبح الحق مُظْلِمــا
ونوَّرتَ بالبرهان أمراً مدلّســاً وأطفأت بالقرآن ناراً تضرّمــا
فمن مبلــغٍ عني النبي محمــداً وكل امرئ يُجزى بما كان قدَّما
أقمتَ سبيل الحق بعد اعوجاجه وكان قديماً ركنُــه قد تهدّمــا
تعالى علواً فــوق عرشٍ إلهنــا وكان مكان الله أعلى وأعظمــا

فقال عمر : من بالباب منهم ؟ ، فقال : عمر بن أبي ربيعة ، فقال : أليس هو الذي يقول :

ثم نبَّهتُهــا فهبّــت كعابــا طفلــة ما تَبين رجع الكلامِ
ســاعة ثمّ إنها بعدُ قالــت : ويلنا قد عجلتَ يا ابن الكرامِ
أعلى غير موعد جئت تسري إلي تتخطى رؤوس النيــامِ
ما تجشمتَ ما تريد من الأمر ولاحيــتَ طارقــاً لخصــامِ

فلو كان عدو إذا فجر كتم وستر على نفسه ، لا يدخل والله أبداً ، فمن بالباب سواه ؟ ، قال : همام بن غالب – يعني الفرزدق – فقال عمر : أو ليس هو الذي يقول في شعره :

هُما دلّياني من ثمانين قامةً كما انقضَّ بازٌ أقتمُ الريشِ كاسرُهْ
فلما استوت رجلايَ بالأرض قالتا : أحيٌّ يُرَجَّى أم قتيل نحاذرهْ ؟

لا يطأ والله بساطي وهو كاذب ، فمن سواه بالباب ؟ قال : الأخطل ، قال : أو ليس هو الذي يقول :

ولست بصائمٍ رمضان طوعاً ولستُ بآكلٍ لحم الأضاحي
ولست بزاجرٍ عِيساً بكورٍ إلى بطحاء مكة للنجاحِ
ولست بزائرٍ بيتاً بعيداً بمكة أبتغي فيه صلاحي
ولست بقائم كالعير أدعو قبيل الصبح : حيَّ على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً وأسجد عند منبلج الصباحِ

والله لا يدخل عليّ وهو كافر أبداً ، فهل بالباب سوى من ذكرت ؟ ، قال : نعم ، الأحوص . قال : أليس هو الذي يقول :

الله بيني وبين سيدها يفرُّ مني بها وأَتبعهُ

فما هو دون من ذكرت ، فمن ههنا غيره ؟ ، قال : جميل بن معمر . قال : الذي يقول :

أَلا ليتنا نحيا جميعاً وإنْ نَمُتْ يوافق في الموتى خريجي خريجُها
فما أنا في طول الحياة براغبٍ إذا قيل : قد سُوِّي عليها صفيحُها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بذلك صالحاً ويتوب ، والله لا يدخل عليَّ أبداً ، فهل بالباب أحد سوى ذلك ؟ ، قلت : جرير ، قال : أما إنه الذي يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلامِ

فإن كان لا بدَّ فأذن لجرير ، فأَذن له ، فدخل على عمر وهو يقول :

إن الذي بعـــث النبي محمـــداً جعل الخلافة للإمام العـــادلِ
وسع الخلائقَ عدلُـــه ووفاؤهُ حتى ارعوى وأقام ميل المائلِ
إني لأرجو منك خيراً عاجـــلاً والنفس مولعة بحب العاجـــلِ

فقال له : ويحك يا جرير ، اتق الله فيما تقول . ثم إن جريراً استأذن عمر في الإنشاد فلم يأذن له و لم ينهه ، فأنشده قصيدة طويلة يمدحه بها ، فقال له : ويحك يا جرير لا أرى لك فيما ههنا حقاً . فقال : إني مسكين وابن سبيل . قال : إنا ولينا هذا الأمر ونحن لا نملك إلا ثلاثمائة درهم ، أخذت أم عبد الله مائة وابنها مائة ، وقد بقيت مائة ، فأمر له بها . فخرج على الشعراء ... فقالوا : ما وراءك يا جرير ؟ ، فقال : ما يسوؤكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراضٍ ، ثم أنشأ يقول :

رأيتُ رقى الشيطان لا تستفزُّه وقد كان شيطاني من الجن راقيا

إنك تُسأل عن هذا يوم القيامة

قال حماد الراويةُ عن كُثير عزة :

« وفدت أنا والأحوص ونُصيِّب إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، ونحن نَمُتُّ بصحبتنا إياه ومعاشرتنا له ، لما كان بالمدينة ، وكلٌّ منا يظن أنه سيشركه في الخلافة . فنحن نسير ونختال في رحالنا.

فلما انتهينا إلى خُناصرة ولاحت لنا أعلامها ، تلقّانا مسلمة ابن عبد الملك فقال : ما أقدمكم ؟! ، أما علمتم أن صاحبكم لا يحب الشعر والشعراء ؟ ، قال : فوجمنا لذلك ، فأنزلنا مسلمة عنده وأجرى علينا النفقات وعلف دوابنا ، وأقمنا عنده أربعة أشهر لا يمكنه أن يستأذن لنا على عمر ، فلما كان في بعض الجُمَعِ دنوت منه لأسمع خطبته فأسلم عليه بعد الصلاة ، فسمعته يقول في خطبته :

« لكل سفر زاد ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله له من عذابه وثوابه ، فترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يمسي بعد إصباحه ولا يصبح بعد إمسائه ، وربما كانت له كامنة بين ذلك خطرات الموت والمنايا ، وإنما يطمئن من وثق بالنجاة من عذاب الله وأهوال يوم القيامة ، فأما من لا يداوي من الدنيا كَلْماً إلا أصابه جارح من ناحية أخرى فكيف يطمئن ؟! أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق » .

ثم بكى حتى ظننا أنه قاضٍ نحبه ، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والعويل .

قال كُثَيِّر : « فانصرفت إلى صاحبي فقلت : خذا سرحاً من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه ، فإنه رجل أُخرى ليس برجل دنيا .

قال : ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة ، فلما دخلنا عليه سلمت عليه ثم قلت : يا أمير المؤمنين طال الثواء وقلَّت الفائدة ، وتحدث بجفائك إيانا وفود العرب . فقال : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ... ﴾ [التوبة : 60] وقرأ الآية ، فإن كنتم من هؤلاء أُعطيتم وإلا فلا حق لكم فيها . فقلت : يا أمير المؤمنين إني مسكين وعابر سبيل ومنقطع به . فقال : ألستم عند أبي سعيد ؟

– يعني مسلمة بن عبد الملك – فقلنا : بلى! فقال : إنه لا ثواب على من هو عند أبي سعيد .
فقلت : ائذن لي يا أمير المؤمنين بالإنشاد ، قال : نعم ، ولا تقل إلا حقاً .
فأنشدته قصيدة فيه :

وليتَ فلم تشتم علياً ولم تُخفْ ... بريئاً ولم تقبل إشـــارة مجـــرمِ
وصدقتَ بالفعل المقال مع الذي ... أتيت فأمسى راضياً كل مسلمِ
ألا إنما يكفي الفتـــى بعد ريعـــه ... من الأود النادي ثقافُ المقـــومِ
وقد لبست تسعى إليك ثيابهـــا ... تراءى لك الدنيا بكفٍّ ومعصمِ
وتومض أحياناً بعين مريضـــة ... وتبسم عن مثل الجمان المنظّمِ
فأعرضتَ عنها مشمئزاً كأنمـــا ... سقتك مذوقاً من سمامٍ وعلقمِ
وقد كنتَ من أحبالهـــا في ممنع ... ومن بحرها في مزبد الموج مفعم
وما زلتَ تواقاً إلى كل غايـــة ... بلغتَ بها أعلى البناء المقـــدم
فلما أتاك الملكُ عفواً ولم تكن ... لطالب دنيا بعـــده في تكلـــمِ
تركتَ الذي يفنى وإن كان مونقاً ... وآثرت ما يبقى برأيٍ مصمِّمِ
وأضررتَ بالفاني وشمّرتَ للذي ... أمامك في يوم من الشر مظلمِ
ومالكَ إذْ كنتَ الخليفةَ مانـــعٌ ... سوى الله من مالٍ رعيتَ ولا دَمِ
سَـــما لكَ همٌّ في الفؤاد مؤرِّقٌ ... بلغت به أعلى المعـــالي بســـلمِ
فما بين شرق الأرض والغرب كلها ... منادٍ ينادي من فصيحٍ وأعجمِ
يقول أميـــرَ المؤمنيـــن ظلمتني ... بأخذك ديناري وأخذك درهمي
ولا بسطُ كفٍ لامرئٍ غير مجرمٍ ... ولا السفك منه ظالماً ملء مجحمِ
ولو يستطيع المسلمون لقسموا ... لك الشطر من أعمارهم غير نُدَّمِ
فعشـــت بها ما حج لله راكب ... ملبٍ مطيفٌ بالمقـــام وزمـــزمِ
فأَرْبِـــحْ بها من صفقة لمبايـــع ... وأَعْظِمْ بها ، أعظمْ به ، أعظمِ

قال : فأقبل عليّ عمر بن عبد العزيز وقال : « إنك تُسأل عن هذا يوم القيامة » ثم استأذنه الأحوص فأنشده أخرى ، فقال : « إنك تُسأل عن هذا يوم القيامة » ثم استأذنه نصيب فلم يأذن له ، وأمر لكل واحد منهم بمائة وخمسين درهما » .

محارب يرثي عمرا

قال محارب بن دثار في رثاء عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

لو أَعظمَ الموتُ خلقــاً أن يواقعــه ... لِعَدْلِــهِ لم يصبك الموتُ يا عمــرُ
كم من شريعة عدل قد نعشت لهم ... كادت تموت ، وأخرى منك تنتظرُ
يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي ... على العدول التي تغتالهــا الحفــرُ
لو كنتُ أملك ، والأقدارُ غالبــةٌ ... تأتي رواحــاً وتبيانــاً وتبتكــــر
صرفتُ عن عمر الخيرات مصرَعَهُ ... بدِيرِ ســـمعانَ ، لكنْ يغلب القدرُ

ملاحظات :